المرجعية المعرفية في شعر صفي الدين الحلي

الباحثة. هديل سالم كاطع **أ.د. رائد فؤاد طالب**

كلية الآداب/ جامعة البصرة

Email:dr.raidfuad75@gmail.com hayder.alwaeely@yahoo.com

الملخص

يقدم هذا البحث قراءة لإحدى المرجعيات الثقافية التي يستند إليها الشّاعر في نصوصه الشعرية وهي المرجعية المعرفية، إذ شكّلت هذه المرجعية مصدراً خصباً للتوظيف الفني؛ وذلك لأن الشعر من النصوص المنفتحة على مختلف المعارف والعلوم، وقد ارتأينا أن ندرس شعر صفي الدين الحلي لسعة مرجعياته المعرفية فقد اتكأ على معارف عدة في نصوصه الشعرية، منها المعرفة بعلم البلاغة والنحو والعروض فضلاً عن معرفته بعلم الطير وعلم الفلك والكواكب.

الكلمات المفتاحية: المرجعية، المعرفة، شعر، صفي الدين الحلي.

The cognitive reference in the poetry of Safi al-Din al-Hilli

Researcher.Hadeel Salem Kateh Prof. Dr.Raed Fouad Taleb
College of Arts / University of Basrah
Email: hayder.alwaeely@yahoo.com dr.raidfuad75@gmail.com

Abstract

This research presents a critical reading of one of the cultural references on which the poet relies in his poetic texts, which is the cognitive reference, as this reference constituted a fertile source for artistic employment, because poetry is one of the texts that open to various knowledge and sciences. He relied on several knowledges in his poetic texts, including knowledge of rhetoric, grammar and presentations, in addition to his knowledge of birds, astronomy and planets.

Keywords: The reference,The cognitive ,Poetry,Safi Aldeen Alhili.

المقدمة

تُعدَّ النصوص الشعرية من أكثر النصوص المنفتحة على مختلف المعارف والعلوم، لذلك نجد القصيدة الشعرية مليئة بالرموز والشفرات وهذا التنوع يدل على الثقافة التي استقى منها الشاعر والمعرفة التي يحملها، فالنص الشعري هو الصورة العاكسة لثقافة الشاعر أو بالأحرى مرجعياته الثقافية المختلفة، وإحدى هذه المرجعيات هي المرجعية المعرفية والمقصود بها هي مجموع المعلومات التي تخص مجالاً معيناً و ارتأينا أن ندرس شعر "صفي الدين الحلي" لسعة مرجعيته المعرفية فهو اتكأ على عدة معارف في نصوصه الشعرية ، منها المعرفة بعلوم البلاغة وعلم النحو وعلم العروض وغيرها من المعارف التي شكلت هذه العلوم المرجعية في داخل النص، إذ تشير هذه الثقافة التي يعكسها الشاعر داخل النص إلى مرجعيات مختلفة، فهذه المرجعيات تبقى مشتركة بين النص والقارئ فعندما يتحدث الشاعر في داخل القصيدة عن ظاهرة بلاغية فهذا يدعو المتلقي الواعي بها إلى استعادتها واستحضارها فتتمثل المرجعية المعرفية في داخل النص وفي ذهن المتلقي، فإذا تأملنا النصوص نجد أن الشاعر قد أنتجها استناداً إلى الإرث الثقافي المعرفي فهو يحيل إلى معرفة بلاغية وأحيانا الى معرفة بعلم النحو أو أنه يحيل أيضاً إلى معرفة بعلم العروض، وحيث تكشف هذه الظواهر المتمثلة في النص عن علاقة المؤلف، الشاعر، الذات بضروب المعارف المختلفة وهي علاقة تشبه علاقة القارئ بالكتاب، عندما يفيد الشاعر منها في إنتاج نص إبداعي فهذا يعني تمثلها كظاهرة من ظواهر المرجعيات المعرفية للنص الأدبي، إذ يتأسس النص على معرفة بضروب المعارف فهو ليس نصاً شعرياً وحسب، بل يصبح أشبه بالمدونة للقضايا المعرفية، ومن المرجعيات المعرفية التي استند إليها صفي الدين الحلي في شعره والتي درسناها في البحث هي:

١-المرجعيات المعرفية بعلوم اللغة العربية.

٢-المرجعيات الوصفية (الطيور).

٣- المرجعيات العلمية (الفلك).

-المحور الأول: المرجعيات المعرفية بعلوم اللغة العربية

١_ المعرفة بعلم البلاغة: ومن النصوص التي ضمنت المعرفة بعلم البلاغة، قوله في إحدى قصائده التي يذكر فيها فناً من فنونها:

وكم أججوا نار الحروب وأقــبلوا بجيشٍ يصد السيل عن مربض العصمِ
فلم يسمعوا إلا صليل مهـــندي وصوت زئيري بين قعقعة اللـــــجمِ
جعلتهم نهباً لسـيفي ومقولـــي، فهم في وبالٍ من كلامي ومن كلمـــي
تود العدى لو يحدق اسم أبي بها وألا تفاجا في مجال الوغى باســـمي
تعدد أفعالي، وتلك مناقـــــب، فتذكرني بالمدح في معرض الـــــذم[١]

لقد استدعت ذاكرته في آخر بيت أحد فنون علم البديع وهو (المدح بما يشبه الذم)، حيث يبتغي من هذا بأنك تقوم بتعداد أفعالي بهيئة ذم وهي في الأصل كلها مناقب أفخر بها وذكرك لأفعالي هذه تشبه المدح في معرض الذم وهذا (المدح بما يشبه الذم) أن يستثني من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيه[٢]، فاتكأ بذلك على تلك المعرفة البلاغية كمرجع لإيصال فكرته إلى المتلقي.

ثم يذهب إلى فن آخر من علم البلاغة وهو (الاستعارة) فهو يعمدُ إلى ذكر هذا الفن باسمه ليخدم نصه الشعري إذ يقول:

يا ابن الذي حج إليه الـــورى لكون كعبة دين الســـمـاح
إن قصرت مني إليك الـــخطى، ماقصرت مني يد الامتـــداح
فقد جعلت الأرض من مدحكم خضرا، وشعري جائل كالوشاح
خفضت بالنصب استـــعاراته، كما أعير الذل خفض الـجناح[٣]

لقد ذهبت حاجته إلى بيان وتوضيح مقصده من ذكر هذا الفن في علوم البلاغة وهو فن (الاستعارة) ولم يكتف بذلك فقط بل استدعت حاجته إلى أن يذكر الشاهد الذي ارتبط دائماً بموضوع الاستعارة، وأغلب الكتب تذكر هذا الشاهد لإيضاح أحد أنواع الاستعارة وهذا الشاهد المأخوذ من الآية الكريمة:((واخفض لهما جناح الذل من الرحمة))[٤] ، ويذهب في موضع آخر من الديوان فيذكر نوعاً من المحسنات اللفظية لعلم البديع في البلاغة وهو (التضمين) الذي يعني تضمن الشاعر في كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير مع التنبيه عليه[٥] إذ يقول في شخص ثقيل جهم الوجه:

وافى، وقد شفع التقطب وجـــهه، وطحا بها مرح التكبر، فانثـــنى
يبدو فتقذفه النفـــوس لثـــــقله، فتراه أبعد مـــا يكون إذا دنـــــا
فطفقت أنشد، إذ بصرت بحمقه، بيتاً جعلت الشطر منه مضمناً[٦]

والشاعر يريد القول في البيت الثالث إنه عندما بدأت أنشد الشعر و رأيت حماقة هذا الشخص جعلت شطر البيت مضمناً أي أخذته عن غيري ، نلاحظ من ذلك أنه وظف هذه المعرفة في سياق خطابه، وحتى أنه يخيّل إلينا من خلال هذا التوظيف أنه يغرق في بحر ثقافته الواسعة، ويذكر لنا في قصيدة أخرى قضية (الحقيقة والمجاز) التي تقع في ضمن علوم البلاغة أيضاً، إذ يقول يشكر أنعام الملك عليه:

أفضت علي للنعمى ملابس، فصار لديَّ رطباً كل يابس
أأزعمُ أنني بالمدحِ جـــازي وهل تجزى الحقيقة بالمجاز[٧]

فهو يذكر فضل الملك عليه ويقارنه مع مدحه للملك ويريد القول إن أنعامك كالحقيقة ومدحي لك كالمجاز والحقيقة لا تجزى بالمجاز ومعنى "الحقيقة هي ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، أما المجاز ما كان بضد ذلك"[٨] فقد استند إلى إيصال فكرته هذه بمرجعيته المعرفية ووظفها توظيفاً مناسباً، إذ جعل النص يحمل قيمة توثيقية اكتسبت بحضور هذه المعارف دليلا مهماً، وفي قصيدة أخرى له بعنوان (أين البلاغة) ينطلق منها ليعرف لنا معنى ومفهوم البلاغة ويبدأ من خلال أبياته شرح معناها بالتفصيل إذ يقول:

ليس البلاغة مـــــعنى فيه الكلام يطـــــــولُ
بل صوغ معنى كثـيرٍ يحويه لفظ قلـــــــيلُ
فالفضلُ في حسن لفظٍ يقل فيه الفضـــــــولُ
يظنه الناس سهـــــلاً، وما إليه ســـــــبيلُ
والعي معنى قصـــــير، يحويه لفظ طويـــــــلُ[٩]

لقد وظف الشاعر معرفته بمفهوم البلاغة في أبياته بلغة بسيطة واضحة وأسلوب جميل، واعتمدها كمرجعية استند إليها في نصه الشعري، فهي تدعو القارئ الواعي بهذا المفهوم أي مفهوم البلاغة إلى استرجاعه في ذاكرته من خلال قراءته هذه الأبيات.

وتمثل هذه المرجعية في نصوصه أعطى شعره بعداً آخر، أبان فيه عن علاقته بتلك المعارف المختلفة.

٢_ المعرفة بعلم النحو: يتبين لنا بأن الشاعر (صفي الدين الحلي) استثمر معرفته بعلم النحو كمرجعية استند إليها في تشكيل صوره الشعرية داخل نصوصه، ومن أمثلة ذلك قوله في واقعة أخذ ثأر خاله:

تخبرك فــرسان العــــريكة أنـني كنت المصلي بعد سبـــق الأول
ما كان ينفع من تـــقدم ســـــبقهُ، لو لم تتممها مضـــارب منصـلي
لكن تقاسمنا عوامل نحـــــوهـــا، فالاسم كان له ، وكان الفــعل لي[١٠]

ففي البيت الأخير يذكر عوامل النحو (الاسم والفعل) ويقصد بها أقسام الكلام ، أي الكلام وما يتألف منه[١١]، فهو يتقاسم هذه العوامل بقوله:" الاسم كان له والفعل كان لي" يريد القول لولا ضربات سيفه لم تتم تلك الواقعة فالفعل كان من نصيبه من ذلك فهو يربط بقوله هذا مرجعيته المعرفية بعلم النحو التي كون من خلالها هذه الصورة الشعرية، ويذهب في قصيدة أخرى يقول محرضاً أحد الملوك:

إذا رأى الأمر بعـــــين فكره رأى خطاء الرأي من صوابه
وإن أجال رأيه في مشـــــكلٍ أعانه الحـــــق على طلابه
تنقـــــــــاد مع آرائه أيامهُ مثل انقيادِ اللفظ مع إعرابه[١٢]

يتكلم هنا عن رأي الملك ويشبه انقياد الأيام مع رأيه كانقياد اللفظ مع الإعراب فهو يستعين بمرجعيته المعرفية بعلم النحو، إذ إن الألفاظ ترفع وتنصب وتجر وهي منقادة بذلك بانقياد الحركة الإعرابية وكذلك رأي الملك هو الذي يقود الأيام ، فنلاحظ هذه القاعدة النحوية شكلت عنده صورة شعرية مستفيداً بذلك من ظاهرة الإعراب وكيف تجر الحركات الألفاظ وترفعها وتنصبها، إذ تبين لنا من خلالها كيف أنه وظف هذه المعارف واستفاد من هذه الظاهرة في تكوين صورة شعرية تشبيهية، ويسير على هذا المنوال في قوله إذ يمدح أحد الملوك:

وعد الصوارم أن يقد بها الطلا، وعـــــداً أراه للعـــــداة وعيدا
ماشدد الـــــــنون الثقيل لأنه إن قال يســـــبق فعله التأييدا
ياأيها الملك الـذي ملك الورى، فغدت لدولته العـــــباد عبيدا
وافيت، إذ مات السماح وأهله فأعدته خلقاً لـــــــديك جديدا[١٣]

يتكلم هنا عن وعد الملك وفي البيت الثاني يريد القول إن الملك عندما وعدنا شدد بقوله على النون وتشديده هذا يعني أن فعله مؤكدٌ ، ويريد بهذا البيت بقوله(النون الثقيل) الإشارة

إلى نون التوكيد التي يؤكد بها المتكلم ما يريده وهي القاعدة المعروفة لعمل نون التوكيد الثقيلة، فهو استفاد من هذه القاعدة في تكوين صورة شعرية خدمت نصه، وكان توظيفه لها مندمجاً مع سياق خطابه. ٣- المعرفة بعلم العروض: الشاعر صفي الدين الحلي استند أيضاً إلى (علم العروض) كمرجعية معرفية وظفها داخل نصوصه الشعرية، فيذهب لتوظيف أسماء البحور الشعرية في بعض توصيفاته الشعرية حيث يشير إليها إشارة ضمنية:

ولو كنت تشرى بالنفيس بذلته، ولو أن حبات القـــلوب نقودُ
ولكـــــن من أودى هواك بلبه مريـــد لما أصبحت منك أريدُ
جلـــوت له وجهاً وقداً مرنحاً وفـــــرعاً وفرقاً وافرٌ ومديدُ[١٤]

يذكر في البيت الثالث (الوافر والمديد) وهما من أوزان الشعر ويريد بالوافر وفرة فرعه أي شعره والمديد أي امتداد قده، فاستلهم مرجعيته المعرفية بعلم العروض في إيصال فكرته للمتلقي عبر ذكره لهذه الأوزان.

ويقول في قصيدة أخرى:

بيت بني أيوب، إذ شيدت بالمـــــلك الناصر أركانه
بيـــــت أثيل، بحره وافر، قد سلمت في المجد أوزانه[١٥]

يصف بيت بني أيوب بأنه أصيل و ذو مكانة وشريف الأصل ويستند بهذا الوصف إلى مرجعيته المعرفية بعلم العروض أيضاً فيقول (بيت أثيل بحره وافر) والبحر الوافر من الأوزان الشعرية ويعُدُّ من أكثر البحور مرونة وأغناها موسيقى وكذلك من أكثر البحور استعمالا، ونظم عليه الأقدمون والمعاصرون شتى الأغراض والمعاني[١٦]، فهو يبتغي من ذلك أن يحيل صفات هذا البحر لبني أيوب فنلاحظ كيف وظف معرفته هذه بالأوزان الشعرية في داخل نصوصه وأخرج بذلك صورة شعرية جميلة.

وللشاعر(صفي الدين الحلي) أشعار تتخذ طابعاً تعليمياً فيذهب إلى الحديث عن أيسر القوافي الشعرية حيث يقول في قصيدة بعنوان (مجرى القوافي):

مجرى القوافي في حروف ســتة، كالشمس تجري في علو بروجها
تأسيسها، ودخيلها مع ردفـــــها، ورويها مع وصلها وخروجـــــها[١٧]

فهو يذهب هنا إلى بيان حروف القافية الستة وهي(الروي والوصل والخروج والردف والتأسيس والدخيل)[١٨] ، وهذه المعارف التي شكلت جزءاً من ثقافته انعكست بشكل واضح في نصوصه وخلقت عنده صوراً شعرية، وله أيضاً قصيدة أخرى بعنوان (حركات القوافي) يقول فيها:

إن القوافي عندنا حركاتها ستٌ على نسقٍ بهن يلاذ

رس، وإشباع، وحذوٌ، ثم تو جيهٌ، ومجــرى بعده ونفاذ[١٩]

يتحدث هنا عن حركات القوافي ومعناها "الحركات التي تلحق القافية، والتي إذا جاء بها الشاعر في مطلع قصيدته وجب عليه التزامها في سائر أبياته وهي ست: المجرى والحذو والنفاذ و الإشباع والرس والتوجيه"[٢٠]، وهذه أيضاً تدخل في ضمن مصطلح (الشعر التعليمي) مما يدل على مرجعية ثقافية معرفية عند الشاعر أي أنه صاحب رؤيا معرفية يستطيع من خلالها التأليف والنظم من أجلها فيحقق بذلك غاية معرفية، وكل هذا قائم من خلال مرجعيات معرفية يكتبها الشاعر وتشكل عنده ذاكرة ثقافية،

-المحور الثاني: المرجعيات الوصفية (الطيور)

المعرفة بعلم الطير: نجد الحلي يذهب إلى الحديث عن الطير في داخل نصوصه ويذكر صفات كل واحد منها وقد خلق من هذه المعارف صوراً شعرية، مما أوحى لنا بأنه كان على دراية واسعة بهذه المعارف ، وكان لهذه المعارف حضورٌ كبيرٌ في ديوانه، ومن المعروف أن الحيوان بصورة عامة شغل أدبنا العربي نثراً وشعراً، والمطلع على تراثنا الأدبي يلحظ عناية العلماء والأدباء الأوائل بهذا الموضوع ونستطيع القول إن الشاعر "صفي الدين الحلي" انتهج منهج الشعراء السابقين بذلك فوظف معرفته هذه بأبعاد متعددة معتمداً على تقنياته الأسلوبية للكشف عن غاياته في توظيفها، ويلحظ القارئ لشعر (صفي الدين الحلي) ظهور أنواع مختلفة من الطيور وقد اختلفت دلالات توظيفها باختلاف أنواعها، ومن أمثلة ذلك قوله في مدح أحد الملوك:

كالصقر في الطيران والطاووس في الـ خطران، والخطاف في الروغـــــــان[٢١]

فهو أضفى صفات هذه الطيور على ممدوحه فيقول كالصقر في الطيران، فالصقر معروف بسرعة حركتهِ وحدة بصره، والطاووس في الخطران، أي كأن مشيته تشبه مشية الطاووس الذي يحب الزهو بنفسه ، والخطاف في الروغان، فالخطاف هو طائر من جنس العصافير[٢٢]، حيث كوّن الشاعر هذه الصورة الشعرية الجميلة معتمداً على مرجعيته المعرفية

في الطيور وصفاتها وأنواعها فجاء توظيفه لها منسجماً مع نصه، ثم يذهب في قصيدة أخرى ويأتي ببعض أنواع الطيور ليخلق صورة تشبيهية تخدم نصه، فيقول:

فلقد وقفت على علاك بدائعاً يعيا بأيسرها النصيح المفلقُ
من كل هيفاء الكلام رشــيقة في طيها معنى أدق وأرشقُ
حسدت أهيل ديار بكرٍ منطقي فيها، كما حسد الهزار اللقلقُ[٢٣]

نلاحظ في البيت الثالث كيف استند إلى مرجعيته المعرفية في الطيور وأشكالها، فالهزار" هو عصفور صغير"[٢٤] واللقلق "طائر طويل العنق والرجلين ويأكل الحيات"[٢٥]، فشبه حسد أهل ديار بكر له بحسد الهزار الطائر الصغير من اللقلق وشبه نفسه باللقلق الطائر الكبير، وقال يرثي خاله الذي قتل غدراً:

أنظر إلى المجد كيف يــنهدم، وعروة الملك كــيف تنفصـــمُ
واعجب لشهب البزاة كيف غدت تـــــسطو الحـــــداة والرخمُ[٢٦]

فالبزاة"هو جمع للبازي وهو نوع من الصقور القوية، والحداة والرخم نوع من البازي التي تمتاز بالغدر والحمق" [٢٧]، فهو يعجب بالحداة والرخم كيف غدرت وسطت على البزاة القوية، فيفتح بذلك فضاء الرثاء على نسق توظيف مرجعيته المعرفية بالطيور ليعكس من خلال هذه المرجعية مشاعره وموقفه اتجاه هذا الغدر، وقال في قصيدة أخرى يصف أماكن بغداد وخمرها:

رَوّ عظامي بسلا فِ العنب الــمورقِ
وصرف الهم بصر فِ مائها الــمروقِ
ولا تدنسها بـــمز جِ مائك المرقـــرقِ
وعوذ الكأس من الـ ماء برب الــفلق
وعاطنيـها قــهــوة تجلو ظلام الغسق
وأسـقني حتــى أرى الفيل بقدر البيدق[٢٨]

ففي البيت الأخير يتبين لنا مدى انتفاعه من مرجعيته المعرفية بأشكال الطيور في بناء نصه الشعري فالبيدق"هو طائر صغير الحجم"[٢٩] حيث أراد من هذه الصورة الشعرية أن يصف مقدار ما شرب من الخمر حتى وصل به أن يرى الفيل الضخم بحجم البيدق الطائر الصغير، ويقول واصفاً رماية البندق:

واعتبر الجنة في الطـــريقِ، وانتخب الرفيق للمضـــيق

ولاتصاحب غير ذي التحقيق، فالـــــتم لا يطير بين الشيق
والكي لايرضى الوريد صاحبَا[٣٠]

فـ (التم، الشيق، الكي، الوريد) من أنواع الطيور إذ يُلاحظ كيف استعان بمرجعيته المعرفية بصفات هذه الطيور وكون من خلالها صوراً شعرية داعماً بذلك نصه الشعري

ويقول في قصيدة أخرى يفتخر بقومه عند أخذهم ثأر خاله قسراً:

إن الزرازير لما قام قائمـــــــها، توهمت أنها صارت شواهـــــينا
ظنت تأني البزاة الشهب عن جزعٍ وما درت أنه قد كان تهويـــــــنا[٣١]

يصف الشّاعر هنا الذين غدروا بخاله ب (الزرازير) وهي طيور صغيرة أكبر من العصافير وأنهم عندما قام قائمهم توهموا بأنهم صاروا شواهينا، والشواهين" هي جمع شاهين وهو من جنس الصقور طويل الجناح"[٣٢] إذ يصف قومه بشهب البزاة وهي أيضاً جنس من الصقور القوية وهذه الصورة التشبيهيه التي جاء بها ليسقط عليها غايته جاءت عن ثقافته ومعرفته بأنواع الطيور إذ استثمرها في نصه الشعري موظفاً إيّاها توظيفاً منسجماً مع موضوع قصيدته بشكل دقيق.

_المحور الثالث: المرجعيات العلمية (الفلك)

لقد كان (صفي الدين الحلي) واسع المعرفة وكانت المرجعية الفلكية إحدى مرجعياته الثقافية التي أجاد في توظيفها وبرع في سياق وضع معلوماته، ووجد فيها ما يحاكي شعوره الذي يحسه، ويستوحي منه مادة يشكل من خلالها لوحات مفعمة بالمشاعر، ولاسيما أن النجوم والكواكب تحمل دلالات ورموزاً و معاني كثيرة، قام بدوره في توظيفها بما ينسجم مع واقع الحال الذي يريد إيصاله إلى المتلقي بأدق تعبير وأبلغ صورة، والقارئ لديوان (صفي الدين الحلي) يكتشف أنه استخدم عدداً كبيراً من أسماء الكواكب والمجرات والنجوم، ومن الأسماء الفلكية المذكورة على لسان شاعرنا هو كوكب زحل وبرج الحمل "فكوكب زحل هو ثاني أكبر الكواكب بعد المشتري"[٣٣] والحمل هو برج في السماء إذ يقول:

وأدهم يقق التحجيل ذي مـــــرحٍ، يميس من عجبه كالشارب الثملِ
مطهم مشرف الأذنين تحســـــبه موكلاً باستراق السمع عن زحـلِ
ركبت منه مطا ليلٍ تسير بـــــهِ كواكب تلحق المحمول بالـــحملِ[٣٤]

فهو استدعى من مرجعيته الفلكية هذه الأسماء الفلكية، وأضفى عليها إبداعًا من إبداعاته، فتمازجت هذه المعرفة مع نصه وأصبحت صورة فنية فاتنة أعطت للقصيدة الشعرية نظرة أدبية مختلفة، ويذهب في قصيدة أخرى يذكر (الشهب والشمس) فالشهب هو جرم سماوي يسبح في الفضاء[٣٥] فيقول في صفة الشمع:

جلت الظلماء باللـــــهب، إذ بدت في الليل كالشهبِ
فانجلت في تاجها، فجلت ظلم الأحزان والـــــكربِ
خرد شابت ذوائبـــــها، وفروع اللـــــيل لم تشبِ
سفرت كالشمس ضاحـــكة من تواري الشمس في الحجبِ[٣٦]

فطنة الشاعر بالمعاني لا تقف عند حد ما، بل ينظر إلى الأمور نظرة خاصة فهو يتدفق إلى التفاصيل ويأخذ منها ما يأخذ و يترك ما يترك ، ففي البيت الأول يخرج بوصف مثير مستوح من الشهب بما تتحلى به من إنارة تضيء الليل لخلق هذا الوصف المثير الذي خدم نصه الشعري وجاء منسجماً و في البيت الرابع يشبه إضاءة الشمع بالشمس في شروقها، وقال يهنئ أحد الملوك بدار عمرها:

زين أبناء الملك الصـــــا لح شمس الدين الرفيع الشان
ملك يملأ النواظر بالحـسن، ويملا الأكف بالإحـــــسان
لو يشا أسس المنازل من لو قِ أعالي مـــــنازل الزبرقان
والسواري فوق السواري من الشهـ ـب، وأبوابها على كيوان[٣٧]

ففي البيتين الأخيرين يعود إلى معرفته بالكواكب فالزبرقان هو القمر والسواري من الشهب هي النجوم وكيوان "هو أسم كوكب زحل بالفارسية"[٣٨] فشكّل من هذه الكواكب لوحة فنية بمعنى ساحر معتمداً على خياله الواسع فضلاً عن مرجعيته المعرفية، ويقول في مدح أحد الملوك:

يرنو إلى حُبُكِ السماء توهـــماً أن المجرة حَلبة المـــــــيدانِ
لو قيل عج نحو السماء مبادراً وطشت يداه دوابر الدبـــــران
أو قيل جز فوق الصراط مسارعاً لمشى عليه مشية الســــــرطانِ[٣٩]

فالشاعر هنا أيضاً يستدعي من مرجعيته الفلكية (المجرة) و(الدبران) والدبران هو منزل للقمر ويشتمل خمسة كواكب في برج الثور[٤٠]، فهو يتأمل الطبيعة بشكل واعٍ ويربط بين

هذه المكونات لتقود المتلقي إلى الاستماع بكل الخواص الفنية والجمالية عبر تقديم الفكرة والمعنى المناسبين، ويقول في قصيدة أخرى :

كم قد سهرت الليل أرقب زورة منها، فلم أر للصباح عــمودا
ورعيت أنجمه فأكسبت السها سقمي، وأكسب جفني التسهيدا[٤١]

يستلهم الحلي في البيت الثاني من مرجعيته الفلكية (السها) وهو نجم فيقول أنا راقبت النجم فأكسبته مرضي وأكسب جفني السهر، فيظهر من ذلك قدرته الفائقة على استخراج وتشكيل صور تعبيرية جميلة واستنباط معانٍ جديدة، وقال في أحد المجالس:

أهلاً بشهبٍ في سماء المجلسِ، هتكت أشعتها حجاب الحندس
زهر إذا أرخى الظلام ســتوره فعلت بها كصحيفة المتلمــسِ
هيف القدود تريك بهجة منــظرٍ أبهى لديك من الجواري الكنس[٤٢]

ففي البيت الأخير أستثمر معرفته بالنجوم في تكوين هذه الصورة من خلال ذكره لجواري الكنس التي معناها الكواكب السيارة أو النجوم[٤٣] فإنّ ما تحمله هذه من الدلالات وظفها في لغته التصويرية ببراعة، ويقول في قصيدة كتبها للملك يهنئه بعيد الفطر:

يا أخا الجود ليس مثلك موجو داً، وإن كان بادياً للعـــــيان
أنت بين الأنام لفظة إجـــما عٍ، عليها اتفاق قاصٍ و دانِ
ذلك الرتبة التي قــصرت دو ن علاها النسران والفــرقدانِ[٤٤]

يستند أيضاً في البيت الثالث إلى مرجعيته الفلكية فـ (النسران والفرقدان) نجوم حيث إنه وجد في طبيعة هذه النجوم ما يحاكي شعوره الذي يحسه واستوحى منها منظراً يوافق شعوره الفني فعمل على تشكيل هذه الصورة على وفق رؤيته، وقال في رياض (عين الصفا) وهي واد بماردين:

عجنا على وادي الصفا، فصفا عيشي وولى الهم مرتـــــحلا
ولنا بها، والشمس فـــــي أسدٍ قيظاً ، فخلنا برجـــها الحملا[٤٥]

شكلت مرجعيته الفلكية صورة جميلة في وصف الوادي إذ وظف كوكب الشمس وبرجي الأسد والحمل معتمداً بذلك على معرفته بهذه الأبراج وخياله الابتكاري لصنع هذا الوصف الساحر.

الخاتمة

– ظهرت عند الحلي معارف ثقافية أخرى دلت على سعة وتنوع ثقافته تجلت هذه المعارف بعلوم اللغة العربية كالنحو والعروض والبلاغة فكان على معرفة جيدة بتلك العلوم.

– وأيضاً امتلك المعرفة بالطيور وأنواعها وصفاتها وأخذت هذه المعرفة مساحة واسعة وكبيرة في ديوانه حيث وظف معرفته بتلك الطيور في خلق صور شعرية جميلة ذات معنى ودلالة تربط صفات تلك الطيور ومعيشتها بتجربة الشّاعر وموقفه المراد إيصاله للمتلقي.

– استند الشّاعر إلى مرجعيته المعرفية بعلم الفلك والكواكب والنجوم في تكوين صوره الشعرية ودعمها بالدلالات العميقة حيث تنوعت ثقافته بهذا العلم وأخذت أيضاً مساحة غير قليلة في ديوانه.

الهوامش

(١) ديوان صفي الدين الحلي:١٨.

(٢)علوم البلاغة- البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي:٣٤٢.

(٣) ديوان صفي الدين الحلي: ١٦٧.

(٤) سورة الإسراء:٢٤.

(٥) البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب: ٤٦٠.

(٦) ديوان صفي الدين الحلي: ٦٤٤

(٧) المصدر نفسه: ٢١٧.

(٨) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق(محمد على النجار)،ج٣ : ١٠

(٩) ديوان صفي الدين الحلي: ٢٣.

(١٠) ديوان صفي الدين الحلي: ٢٣.

(١١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، القاضي بهاء الدين عبدالله بن عقيل،١ /١٣.

(١٢) ديوان صفي الدين الحلي:٦١.

(١٣) ديوان صفي الدين الحلي:١١٨.

(١٤) ديوان صفي الدين الحلي:٦٢.

(١٥) المصدر نفسه: ٢٢١.

(١٦) العروض الواضح وعلم القافية، محمد علي الهاشمي:٨٠.

(١٧) ديوان صفي الدين الحلي: ٦٢٠.

(١٨) العروض الواضح في علم القافية، محمد علي الهاشمي:١٣٦_١٣٧.

(١٩) ديوان صفي الدين الحلي: ٦٢٠.

(٢٠) العروض الواضح و علم القافية:١٣٩_١٤٠.

(٢١) ديوان صفي الدين الحلي: ١٠٢.

(٢٢) ينظر:حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري:٤٦، ١٠٠، ١٠٩.

(٢٣) ديوان صفي الدين الحلي: ١٢٤.

(٢٤) ينظر: الحيوان في الأدب، شاكر هادي شاكر،ج١ :١٩٥.

(٢٥) ينظر: حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري:١٨٣.

(٢٦) ديوان صفي الدين الحلي: ٣٢٨.

(٢٧) ينظر: حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري،ص٣٨، ص٧١

(٢٨) ديوان صفي الدين الحلي: ٧٠٣.

(٢٩) ينظر الحيوان في الادب، شاكر هادي شاكر، ج٢: ١٩٤.

(٣٠) ديوان صفي الدين الحلي:٢٤٦.
(٣١) المصدر نفسه: ٢٠.
(٣٢) ينظر: الحيوان في الادب، شاكر هادي شاكر،ج٢ : ١٩٤.
(٣٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، أبو القاسم الزمخشري: ٥٢.
(٣٤) ديوان صفي الدين الحلي: ٢٦٦.
(٣٥) ديوان صفي الدين الحلي: ٢٧٤.
(٣٦) المصدر نفسه: ٢٧٤.
(٣٧) ديوان صفي الدين الحلي: ٢٠٨.
(٣٨) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، أبو القاسم الزمخشري:٥٢.
(٣٩) ديوان صفي الدين الحلي: ١٠٢.
(٤٠) المصدر نفسه: ١١٧.
(٤١) المصدر نفسه:١١٧.
(٤٢) ديوان صفي الدين الحلي:١٨.
(٤٣) المصدر نفسه :١٨.
(٤٤) المصدر نفسه: ٢٠٩.
(٤٥) ديوان صفي الدين الحلي: ٥٥٨.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. البلاغة والتطبيق، د. احمد مطلوب،د. كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،العراق،ط٢، ١٩٩٩م.

٢. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين بن موسى النميري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٢م.

٣. الحيوان في الادب، شاكر هادي شاكر، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٤. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٥. ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت،(د.ت).

٦. ربيع الأنوار ونصوص الأخيار، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الامير مهنا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ،١٩٩٢م.

٧. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين عبدالله بن عقيل،دار التراث، القاهرة،ط٢٠، ١٩٨٠م.

٨. العروض الواضح وعلم القافية، د. محمد علي الهاشمي،دار القلم، دمشق،ط١، ١٩٩١م.

٩. علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٩٣م.